

كتاب العدد

حتى يصبح التعلّم مرثياً وملموساً (الأطفال - في مواقف التعلّم - فرادى وجماعات)

إعداد:

كلاوديا جوديسي كارلا رينالدي مارا كريشيفسكي

ترجمة:

الدكتور علي عاشور الجعفر

ط 1 - الكويت: الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، 2013

عرض ومراجعة:

أ.د. الغالي أحرشاو

شعبة علم النفس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهران، فاس، المغرب



لا جدال في أن الاهتمام بالطفولة وتربيتها في المراحل العمرية المبكرة، صار يمثل أحد الرهانات الأساسية الذي تضعه المجتمعات المتقدمة في مستهل انشغالاتها التنموية، وذلك بفعل اقتناعها بأن الاستثمار في هذا المجال لا بد أن يفضي إلى نتائج اقتصادية واجتماعية جد مربحة تُوفّر على الدولة أموالاً ومجهودات كبيرة غالباً ما كانت تضطر إلى إنفاقها في محاربة الجهل والأمية والفقر والانحراف. فالأكيد أن مضاعفة الاهتمام بهذه الفئة العمرية وبأساليب رعايتها وتهيئتها للتمدرس المنظم، هو الذي دفع بهذه المجتمعات إلى اعتماد البرامج التربوية المبكرة، وإلى وضع صغار الأطفال في مؤسسات وفضاءات تربوية تتوافر فيها ظروف الرعاية والأمن والسلامة، فضلاً عن الشروط البيداغوجية الضرورية لتنمية الشخصية في أبعادها الوجدانية والمعرفية والاجتماعية والفنية.

تُجمع الأدبيات النفسية والتربوية على أهمية السنوات الخمس الأولى من الحياة، وعلى دور أساليب الرعاية والتربية المتبعة خلالها في تشكيل ملامح شخصية الطفل المستقبلية، وفي تفتق قدراته وملكاته على التعلّم والاكتشاف وحب العمل والنجاح. فقد ثبت أن الأطفال الذين يستفيدون من تعليم أولي خلال هذه المرحلة عادة ما يتميزون عن غيرهم بالحافزية العليا، والتواصل المطرد والأداء الجيد والنجاح الدراسي. فإذا كانت التربية المقصودة تتمظهر في مختلف أشكال الرعاية النفسية والاجتماعية والتربوية والمعرفية للأطفال، فهي بالمعنى الذي تستخدم وفقه في هذه القراءة عبارة عن ممارسة بيداغوجية تحكمها مرجعية نفسية - تربوية تتمظهر معالمها في سيكولوجية نمو المعارف واكتسابها، وفي بيداغوجيا التدريس وتعليم الكفايات.

إذا كان موضوع هذا الكتاب حول «التعلم المرئي» يندرج ضمن هذا السياق، فإن الهدف المركزي الذي يوجهه يتلخص في تقديم مقاربة شاملة لسيرورة التعلم، تزاوج بين ما هو فردي وما هو جماعي، بين ما هو خصوصي وما هو كوني، بين ما هو معرفي وما هو تنموي. وهو الهدف الذي تطلب تحقيقه اعتماد ثلاثة إجراءات أساسية:

أولها: هو أنه فضلاً عن استحضار أهم نتائج الأبحاث وخلاصات الممارسات المرتبطة بسيرورة التعلم وسياقاتها المتنوعة، هناك رهان واضح على استنطاق مركزية العلاقة بين التعلم والتنمية، وكل ما يرتبط بها من قيم الديمقراطية والمشاركة والحوار والمواطنة وقبول الآخر. وفي هذا الصدد ذهب مؤلفو هذا الكتاب القيم إلى التنصيص على أهمية المجتمع المثقف الذي يبني على مدارس نموذجية تزاوج في وظيفتها بين تعليم المتعلمين المعارف والكفايات والمهارات وبين تلقينهم القيم والعواطف والأخلاق. فعملية التعلم لا تمثل من منظور هؤلاء «مشروعاً تربوياً فقط، بل هي مشروع المجتمع الذي يجب أن ينعم فيه المواطنون بالتعلم والأخذ والعطاء والمشاركة في اكتساب المعرفة وبنائها» (ص. 10 - 11).

ثانيها: يتلخص في اعتماد مؤلفي هذا الكتاب على ثلاثة أورش كبرى للعمل الجاد والمتواصل:

الورش الأول: يهتم حصيلة تجربة ريجيو إيميليا في التعلّم الجماعي واهتمامها الكبير من خلال مراكزها ومدارسها لرعاية الطفولة وتربيتها، بكل ما هو بصري قابل للإدراك والفهم والنقل للآخرين في صور وأشكال مجسمة.

الورش الثاني: يتعلق بحصيلة البحث التعاوني بين مشروع الصفر الذي يمثل مجموعة أبحاث مستقلة في كلية هارفارد للتربية ومراكز رعاية الطفولة ورياض الأطفال في ريجيو إيميليا بإيطاليا. وهو تعاون يستهدف بالخصوص توضيح طبيعة فهم التعلم الجماعي والفردي وكيفية توثيقه وتصويره مرئياً، ومن ثمّ مساعدة المدرسين وغيرهم على فهمه ودعمه وتقويمه. بمعنى التطلع إلى وضع خبرة هاتين المنظمتين العريقتين التي شملت 60 سنة من الممارسة التربوية والدفاع عن حقوق الطفل، رهن إشارة الأطراف الساهرة على تعلم الطفل لكي يصبح معلماً مرئياً كما توضح فصول ومضامين هذا المؤلف.

الورش الثالث: يخص أهمية الاستثمار في التوثيق باعتباره أداة قوية للتواصل مع مختلف الأطراف المعنية بالتربية والمدرسة ورعاية الطفولة.

أما الإجراء الثالث: فيتجلى في العمل على توفير إجابات مقنعة عن الأسئلة المحورية الآتية: ما طبيعة التعلم الجماعي، ومتى تصبح المجموعة مجموعة للتعلم؟ ما أهم طرق توثيقه وتقويمه ودعمه؟ من ذا الذي يعد جزءاً من مجموعة التعلم الجماعي والتوثيق؟ ما علاقة التعلم الفردي بالتعلم الجماعي داخل المدرسة، وما دور التوثيق في الجمع بينهما وفي اختيارات المدرسين لبيئات التعلم وسياقاتها؟

قبل الانخراط في مشوار استحضار أهم أفكار ومعطيات هذا الكتاب، وبالخصوص تلك التي تتوافر فيها إمكانية الإجابة عن الأسئلة السابقة، وقبل تقديم أهم الانطباعات التي تكونت لدي من خلال القراءة المتأنية الفاحصة لفصوله ومضامينه، أرى ضرورة التسطير

على أمر اعتبره غاية في الأهمية، وهو واجب تهنئتنا للدكتور علي عاشور الجعفر على الترجمة الناجحة لهذا المؤلف القيم إلى لغة الضاد بحرفية واحترافية عالية على مستوى الأفكار والمفاهيم المتخصصة، أو على مستوى الممارسات البيداغوجية والأساليب التواصلية المرتبطة بها. ويمكن إجمال مقومات ومعالم القراءة المقصودة في الانطباعات الآتية:

1. أهمية الكتاب وخصوبة موضوعه وغنى مضامينه:

تكمن أهمية هذا الكتاب في جدة موضوعه وإشكاليته وخصوبة أبحاثه وتجاربه وثراء مضامينه ومحتوياته. فقد تطلب بسط فكرته المركزية القائمة على مركزية العلاقة بين منظومة التعليم ومنظومة التنمية، وكل ما يرتبط بها من أساليب تعليمية / تعليمية وممارسات بيداغوجية ووسائل تدريسية ومبادئ المشاركة والحوار والديمقراطية وقبول الآخر، الاعتماد على مجموعة من المشاريع والتجارب التربوية الناجحة وبالخصوص تجارب ريجيو إيميليا وأبحاث مشروع الصفر. ونقدم فيما يلي أهم الوقائع التي توضح معالم أهمية هذا المؤلف المتميز:

(أ) الحقيقة أن كتاب «حتى يصبح التعلّم مرثياً وملموساً» الذي يشكل في الأصل حصيلة الأبحاث التدخلية للتعاون التربوي بين ريجيو إيميليا بإيطاليا ومشروع الصفر بكلية التربية بهارفارد، جاء كاملاً في بنيته وهندسته، متماسكاً في أجزائه وفصوله، غنياً في معلوماته وأطروحاته، وازناً في تصورات ومقارباته ومغرياً في تجاربه ونماذجه. فرهانه الأساسي المتمثل في تحديّ الحدس التقليدي للأبحاث التربوية من خلال إبراز دور المدرسة كفضاء لتوثيق مسار التعلم وتطوره الإنساني باعتماد عدد من العُدَد والوسائط الإجرائية الملائمة لتبسيط المفاهيم والأفكار واستيعابها، لم يكن له أن يستقيم ويتحقق لولا نجاح طاقم الباحثين الساهر على تأليفه في بلورة مقارنة شاملة لعملية التعلم الجماعي، تزاوج بين الفردي والجماعي، بين الخصوصي والكوني، بين التربوي والتنموي، وبعتماد لغة بصرية مجازية تحكمها وسائط مرئية ملموسة كالصور والمجسمات والأشكال.

(ب) الواقع أن موضوع هذا الكتاب بقدر ما هو خصب وجذاب بقدر ما هو صعب ومعقد. فلضبط عناصره وإشكالياته المتنوعة (تربوية، معرفية، اجتماعية، عصبية، لغوية...)، وللتمكن من مقوماته ومرجعياته المختلفة (سيكولوجية، بيداغوجية، منطقية، لسانية...)، كان لزاماً على أصحابه أن يتسلحوا بكفاءة الباحث المتمرس، ومهارة الدارس المحترف، وفلسفة الخبير الممارس. فبدون مجاملة فإن المؤلف الحالي قد نجح فعلياً في تقديم إحدى المساهمات التربوية المتفردة التي ستشكل بدون أدنى شك إطاراً تربوياً رحباً لأفق مستقبلي واعد في مجال الاهتمام بسيرورة التعلم والتخطيط لأساليب ممارستها. وهو النجاح الذي يمكن التدليل عليه من خلال المقومات الآتية:

* على الرغم من كون أن كل فصل من فصول هذا الكتاب قد وضعه باحث واحد أو أكثر، فلا بد من التأكيد على أن مختلف أفكاره ومضامينه قد تبلورت ضمن سياق يحكمه البحث العلمي التعاوني. فمحتوياته التي جاءت مصاحبة بمجموعة من النصوص والقصص المجسمة عبر صور وأشكال ومناظر، قد تم توزيعها على ثلاثة أجزاء، كل جزء يتكون من مجموعة فصول. فبعد المقدمات التمهيديّة التي ينطلق بها الكتاب، وبالخصوص مقدمات

كل من هوار د جاردنر و كارلا رينالدي اللذين سلطا الضوء على تاريخ هذا العمل التعاوني وأهدافه، وقبل تأملات هذين الباحثين حول أهمية ومغزى الأبحاث المشتركة الموثقة في الخاتمة، نجد هذا المؤلف يتوزع إلى ثلاثة أجزاء:

الجزء الأول يتناول بالعرض والتحليل والنقاش قضايا التعلم الجماعي والتوثيق من وجهات نظر باحثي ريجيو ويركز في فصوله على إبراز مكانة المدرسة بمختلف مكوناتها وأطرافها (إدارة، مدرسون، تلاميذ، آباء) كفضاء يقوم بدور محوري في تيسير عملية التعلم؛ بحيث إن «بيئة المدرسة وفضاءها وعلاقاتها وأساليب تعاملها ونظامها، كلها عوامل تؤثر سلباً أو إيجاباً في عملية التعلم التي تتطلب استخدام وسائل ديداكتيكية متنوعة، ولغات لفظية ومرئية، وأساليب تحليلية وموسيقية وشعرية وحسية ودرامية» (ص. 150 - 153). وهذه مسألة تعبر عنها مضامين الفصول السبعة المكونة لهذا الجزء، والتي تعالج على التوالي: مراكز رعاية الطفولة ورياض الأطفال كفضاءات ثقافية (الفصل 1)، أهمية التنظيم ودوره في جودة العلاقات داخل المدرسة (الفصل 2)، الحياة اليومية بالمدرسة (الفصل 3)، التوثيق والتقويم: ما العلاقة؟ (الفصل 4)، توثيق الموثق (الفصل 5)، محادثة مع مجموعة من المعلمين (الفصل 6)، وأخيراً المدرسة مكاناً للتعلم الجماعي لأولياء الأمور (الفصل 7).

الجزء الثاني يستعرض النتائج الأولية للبحث التعاوني المنجز حول التعلم الجماعي للصغار والكبار، وبالخصوص مسألة التوثيق المرئي، وذلك باعتماد أربعة فصول: أولها تم تخصيصه لفصول الفهم، وثانيها وثالثها لـ «لفاكس» و«مدينة ريجيو إيميليا»، ورابعها للشكل والوظيفة والفهم في مجموعات التعلم.

الجزء الثالث والأخير يرصد آراء أصحاب مشروع الصف في التعلم الجماعي والتوثيق بناءً على زيارتهم لمراكز ورياض أطفال ريجيو إيميليا، واحتكاكهم بالنظريات والممارسات التربوية المعتمدة في تلك المؤسسات وتقويمها وفق السياق الأمريكي. فهو يركز على مجموعة من الأنشطة الإجرائية التي يشارك الأطفال في إنجازها مثل «توجيه رسالة مكتوبة إلى شخص معين»، وذلك باعتماد خمسة فصول تناولت على التوالي: التنقل عبر الأطلسي (الفصل 1)، أربع سمات للتعلم الجماعي (الفصل 2)، فهم التوثيق يبدأ من المنزل (الفصل 3)، كيف تكون جزءاً من شيء هو أكبر منك (الفصل 4)، وأخيراً عندما تكون الإجابة في حالة انتظار: وجهات نظر عن أبحاث التعليم (الفصل 5).

* إذا كانت لغة هذا المؤلف الضخم لغة علمية شفافة يحكمها منطق السلاسة في التعبير، والدقة في المفهوم، والوضوح في الطرح، بحيث نجدها تزواج بين الصورة الموثقة كلغة بصرية مرئية غير مألوفة في منظومة التعليم التي اعتمدها فريق ريجيو، وبين اللغة اللفظية الصريحة المألوفة التداول، والتي اعتمدها مشروع الصف، فإن أهم مسلماته، وبالخصوص تلك التي تهتم التعلم الجماعي، تتلخص في جملة من العناصر نجمل أهمها في الآتي:

- تتكون مجموعات التعلم من الأطفال والراشدين على حد سواء.
- يلعب توثيق التجارب التعليمية دوراً إيجابياً في تدوين أساليب تعلم الأطفال،

وجعلها أكثر إجرائية ووضوحاً.

- تمثل المضامين الفكرية والانفعالية والحسية، الأبعاد التي ينشغل بها أعضاء مجموعة التعلم.

2. قيمة الكتاب العلمية والتطبيقية وغاياته الأساسية:

فضلاً عن المواصفات السابقة التي توضح بعض جوانب أهمية هذا الكتاب المتميز بموضوعه ومباحثه، والمتفرد بأسلوبه ومقارباته، نرى ضرورة التأكيد على أن غاياته الأساسية تتلخص في فكرة مركزية قوامها بلورة تصور للبحث المستقبلي في مجال التعلم الجماعي مع حصر مختلف مقومات وإجراءات هذا التصور، وبالخصوص على مستوى تشكيل مجموعات التعلم وكيفية توثيق تعلماتها، وتحديد مظاهر العلاقة التفاعلية بين أطرافها وسياقاتها المتنوعة. وهي الغايات التي تتمظهر من خلالها قيمة هذا المؤلف العلمية والعملية وتعبر عنها جملة من الاستنتاجات والخلاصات القابلة للتوظيف والاستثمار سيكولوجياً وتربوياً وتدرسياً. ونفضل إجمالها مع كل من هاوارد جاردنر وكارل رينالدي (ص ص. 339 - 345) في الأفكار الآتية:

(أ) يُستشف من محتوى هذا الكتاب أن الأطفال مثلهم مثل الكبار ينخرطون في تعلم المعارف عبر توظيف ما يمتلكونه من مؤهلات وقدرات وكفايات وإستراتيجيات. فهم يشبهون الراشدين في خطوات الاستكشاف والتعيين والافتراض والانفعال والعلاقات العاطفية والمتعة والسخرية... إلخ. وهذا ما يعني أن تجارب الاكتساب عبارة عن ممارسات تعليمية / تعليمية يتمثل فيها الصغار مع الكبار. وهذه فكرة تتماشى مع المفهوم السيكومعرفي الحديث لسيرورة التعلم الذي يؤكد على حقائق أهمها:

* الإنسان عامة والطفل خاصة عبارة عن نظام فعال لمعالجة المعلومات. فهو عبارة عن آلة نشيطة للتعلم، يتوافر على كفايات معرفية ومطامعرفية منذ سن مبكر، ويتعلم باستمرار، ويواجه المشاكل بانتظام.

* لدى الطفل ما يكفي من القدرات والكفايات التي تؤهله للتعلم والتفكير والفهم والحكم منذ سن مبكر؛ بحيث نجده يدرك الفوارق بين الأشياء ويُفَيِّئُ عناصر الكون، ويكتسب في زمن قياسي عدداً كبيراً من الأنشطة والكفايات المرتبطة باللغة والتواصل والتفاعل الاجتماعي.

* يشارك الطفل بفعالية ونشاط في تعلماته، وذلك على عكس ما كان ينعت به من مواصفات الذهن الفارغ الذي يتأثر دون أن يؤثر (السلوكية)، أو الوجدان الكامن الذي يفعل دون أن يتفاعل (التحليلية)، أو النشاط الذاتي الذي يفعل دون أن يتفاعل (التكوينية). فقد ثبت أن لديه قدرات وكفايات مبكرة على بِنْيَةِ المعارف المكتسبة وتنظيرها، وبالخصوص في الميادين البيولوجية (الحياة - الموت / الطفولة - الشيخوخة...) والفيزيائية (الطاقة - القوة - السرعة - الجاذبية...) والنفسية الاجتماعية (التفكير - الإدراك - الانفعال - الكلام - العلاقة مع الآخر...). فهو بمثابة عالم صغير يبني نظرياته ويختبرها على ضوء المعطيات التي يستقبلها من الواقع، ومتعلم صغير يتعلم باستمرار، ويكتشف بانتظام،

ويستفسر بدون انقطاع. فهو يتشبع بنظريات الثقافة التي ينتمي إليها عن طريق التعلم والتدريس والتثقيف.

(ب) الاستنتاج الثاني يهتم عمل المعلم وممارسته البيداغوجية التي يجب أن تشكل «نظرية تفسيرية» تدمج القصص والحكايات والتجارب الخاصة بسياقات الحياة المعيشة. فالكتاب ينصص على أن عمل المعلم يجب ألا يختزل فقط في مجرد القيام بتجارب وأنشطة الحياة اليومية، بل لابد من أن يشكل أداة لبناء النظريات وإعادة التقويم. وهذه مسألة نجد لها صدى واسعاً في المنظور السيكومعرفي الحديث لسيرورة التعلم، وعمل المعلم، ووظيفة المدرسة عامة. وهو الصدى الذي يمكن التعبير عن بعض معالمة من خلال استحضار المعلومات التالية:

* كلنا نعلم أنه من مهام المدرسة وبالخصوص في مراحلها الأولية، تمكين الأطفال من الاكتسابات المعرفية والمطامعرفية ذات الحمولة العامة، ومن ثمّ تهيئهم للتعلّات الأساسية اللاحقة وبفرص متساوية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الزاد المعرفي للطفل يمثل أحد العوامل المباشرة لنجاحه أو فشله الدراسي. فقد اتضح أن الفرق بين المتعلم الناجح والمتعلم الفاشل لا يعود إلى التفاوت في الطاقة الفكرية اللازمة لمعالجة المعلومات، بل إلى نواقص معرفية ودافعية تهم القصور في البنيات المفهومية والإستراتيجيات المعرفية للضبط الذاتي والمراقبة التنفيذية وتقدير الذات... إلخ. وكما اتضح أن الطفل لا يأتي إلى المدرسة وهو عبارة عن صفحة بيضاء لا يعرف أدنى شيء، بل يجيء إليها وهو مزود بمعارف وكفايات للإدراك والتفهيء والتعلم والتواصل والتفكير. وهي المعارف والكفايات التي يتوجب على المعلم والمدرسة عامة ببرامجها ومناهجها المتنوعة العمل على إغنائها وتصحيحها وتطويرها نحو الأفضل.

* الثابت أن أنواع المعارف التي يكتسبها الطفل منذ سن مبكر، وإن كانت تتدرج مما هو محسوس عملي خاص إجرائي إلى ما هو مجرد مفهومي عام تصريحي، فهي تتفاعل وتتكامل فيما بينها سواء على مستوى الانبناء والتطور، أو على مستوى التعلم والانتقال من حالة إلى أخرى. فالمعارف التي يحتاجها الطفل لممارسة أنشطته الذهنية من تفكير وتعلم وحل المشاكل تتحدد بحسب المقاربة المعرفية الوظيفية في ثلاثة أنواع أساسية هي: (1) العمليات الذهنية التي هي عبارة عن أفعال ملموسة استدمجها الطفل داخلياً، وأصبحت على شكل تمثلات يوظفها في الميادين المختلفة. (2) المفاهيم التي هي عبارة عن كيانات ذهنية تُحفظ في الذاكرة البعيدة المدى، وتتعلق بالأشياء والأحداث والأفعال والعلاقات، وتأخذ شكل خطاطات أو فئات أو نظريات. (3) الأنظمة الرمزية المتمثلة في الرموز الصوتية والحركية والكتابية والرياضية وتشكل أدوات ضرورية للمعرفة وصياغتها وصورنتها وتبليغها.

* العمل ببيداغوجيا تعددية يحكمها من جهة أولى النظام المعرفي للمتعلم في كليته وتنوعه ومرجعياته الذاتية والموضوعية، ومن جهة ثانية الفضاء المدرسي الغني والمتنوع في موارده البشرية ووسائله التربوية وبنياته التحتية، ومن جهة ثالثة المشروع التربوي الذي يتوقف نجاحه على مجموعة من الشروط وفي مقدمتها: تفريد التعلم وجعل المتعلم محورا للاكتساب وتعليمه مهارات التفكير وحل المشاكل واتخاذ القرار، فضلاً عن اعتماد التجهيزات التربوية واللوجيستكية المدعمة بالوسائط التدريسية النظرية والعملية،

اللفظية والإجرائية الضرورية.

(ج) أما ثالث الاستنتاجات بهذا الخصوص فيرتبط باللغة المستخدمة في هذا الكتاب؛ بحيث يلاحظ أن هناك تفضيلاً واضحاً للغة المرئية المجازية على سائل التواصل الأخرى، وبالخصوص وسائل العرض السمعية المتمثلة في اللغة اللفظية. ويبدو أن مرد هذا التفضيل يكمن في اقتناع مؤلفي هذا الكتاب، وبصورة خاصة فريق ريجيو، بأن صغار الأطفال يعشقون استخدام هذه اللغة البصرية على الرغم من كل ما تثيره من استفسارات لدى الباحث المتحمس للغة اللفظية الصريحة. والواقع أن هذا الاختيار لا يشذ عن التوجه العام للمنظور السيكومعرفي الحديث لسيروية التعلم والاكتساب. فقد ثبت أنه وعلى عكس الكلمة المكتوبة التي تستلزم بلوغ سن معين وكفايات خاصة لقراءتها ونطقها وفهمها، فإن الصورة التي تخاطب بصر الطفل وعقله وخياله عادة ما يتفاعل معها، ويدرك مدلولها منذ سن مبكر. وعليه هناك إقرار واضح بأن الصدارة في كل ما يكتسبه هذا الأخير قبل سن السادسة تكون للصورة، ولكل ما هو بصري مرئي، حيث نجده يفضل الأشياء المألوفة والرسوم والصور التي تحكي قصصاً بسيطة، وحتى بعض الصور الخيالية الهزلية الجميلة في رسوماتها والمعبرة في خطوطها وألوانها.

إذن، في الخلاصة نشير إلى أن هذا المؤلف القيم، وعلى الرغم من تفضيل أصحابه لكل ما هو مرئي إجرائي على كل ما هو لفظي مفهومي في سيروية التعلم، وعلى الرغم من تشديدهم على الترابط والتلازم بين التعليم والتعلم، بين التوثيق والتقويم، بين التعلم الفردي والتعلم الجماعي، ومن ثم تشكيكهم في الجهود التي تحاول التمييز الواضح بين هذه المفاهيم والممارسات المختلفة، فهو يمثل في الواقع المشروع الذي يتحدى ما هو مألوف، حيث نجده يراهن على تجديد منظومة التعليم في مراحلها المبكرة من خلال قلب العلاقات والمعادلات بين الخططات النظرية والممارسات العملية، بين الانطباعات الحسية والوقائع التجريبية، بين المعارف والمطامعارف عند الصغار والكبار ثم أخيراً بين أسس التنمية المعرفية وركائز التنمية الاقتصادية والاجتماعية. فالواضح من هندسته ومضامينه وتجاربه وأفكاره المبنية على تجارب وممارسات مدارس ريجيو إيميليا، وعلى بنيات ونظم التعليم الأمريكية، أن مؤلفيه قد انخرطوا فعلياً في استكشاف عالم التعلم والتعليم بمقوماته وسياقاته المتعددة مع العمل على استنطاق مكانة كل من الصغار والكبار على ركوب رهاناته ومجاراته تحدياته، وتجاوز مشاكلة. فغاياته القصوى تكمن أساساً في تحفيز مختلف الباحثين والتربويين والفاعلين في المنظومة التعليمية على الانخراط في إستراتيجية تربوية هادفة، قوامها إعادة التفكير في التصورات النظرية والممارسات التطبيقية لهذه المنظومة، ومن ثم المساهمة من خلال التركيز على خصائص التعلم الفردي والجماعي في إرساء دعائم وأسس الشعور الجمعي لسيروية التعلم والاكتساب وغرس ثقافة الحب والانجذاب في نفوس الناشئة المتدرسة أو ما تسميه كارلا رينالدي بـ: «ثقافة الحب» (ص 25). باختصار إنه مؤلف قيم يغري بالقراءة، أو بالأحرى هو يشكل بامتياز أحد أهم المراجع الحديثة العهد التي يمكن الاسترشاد بها في ميدان بيداغوجيا التعليم ما قبل المدرسي عامة، وتعلم المعارف الأساسية بخاصة.